مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

الجزء الثالث ـ المجلد السادس والخمسون

بغـــداد

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

أوضاع اليهود في إسبانية ابان
الحكم الإسلامي
(٩٢- ٨٩٧ هـ - ٧١١ -١٤٩٢ م)

الدكتور جواد مطر الموسوي
رئيس جامعة الكوت

الملخص :

كانت دراستنا السابقة عن (اوضاع اليهود في اسبانية قبل الفتح الاسلامي) ، وفي محاولة لاتمام الصورة ، ندرس في هذا البحث موقف اليهود في اسبانية ابان الحكم الاسلامي ، وهو موقف متأثر بمعاملة الدولة القوطية لهم ، ومعاملة المسلمين لابناء جلدتهم في شمالي افريقا .

في عام (٩٣ هـ - ٧١٢ م) اصبحت شبه جزيرة ايبيرية بيد المسلمين ، بعد السيطرة عليها من قبل موسى بن نصير ، وطارق بن زياد . وقد استمر الوجود العربي حتى عام (٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م) اذ انهي على يد الملك (اراغون) وزوجته (ايزابيلا) . ويظهر العصر الاسلامي في اسبانية مدى تسامح المسلمين مع اليهود ، بينما عاش اليهود الغبن في العصر السابق ، والظلم بعد العصر الاسلامي .

ان هذه الدراسة تفيد الباحثين والدارسين المعنيين بـ(الدراسات الاندلسية) فتتبع اليهود واثرهم في الحياة الاندلسية يعطي صورة واضحة لهم في مجال الدراسات التاريخية والادبية والاجتماعية ، لاسيما في مرحلة الحكم الاسلامي للمساحة الواسعة التي حصل عليها اليهود في مختلف

الصعد ؛ فظهر منهم السياسيون والقضاة والشعراء والكتاب وغيرهم من النابهين .

المقدمة

بعد تناولنا (أوضاع اليهود في اسبانية قبل الفتح الإسلامي) ، وتسليطنا الضوء على حياتهم في أثناء الحكم الروماني في العهد الإمبراطوري ثم الحكم البيزنطي والحكم القوطي . وفي محاولة لإتمام الصورة ، ندرس موقف اليهود في اسبانية إبان الحكم الإسلامي ، وهو موقف متأثر بمعاملة الدولة القوطية لهم ، ومعاملة المسلمين لأبناء جلدتهم في شمالي أفريقية .

(١)

ليس في مراجعنا العربية المتوافرة بين أيدينا ، دليل على اتصال اليهود بالمسلمين وتحريضهم على فتح شبه جزيرة ايبيرية ، إلا أن النصوص القوطية تذكر ان اليهود يريدون التعاون مع أهل ما وراء البحر (Los Trau Smarinos) وهو تعبير غير واضح ورد في خطاب ألقاه الملك أخيكا (Egica) في المجمع الكنسي السابع عشر[١] .

لكن اليهود في اسبانية كانوا على علم بأخبار التسامح الديني الذي يتمتع به أبناء جلدتهم في شمالي أفريقيا نتيجة لاتصالهم بهم ، وهذا الذي دفعهم إلى محاولة إسقاط الحكم القوطي بأي سبيل ، لذلك كان موقفهم من الفتح الإسلامي موقفاً إيجابياً[٢] ،

---

[١] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، (القاهرة:١٩٥٩م) ص١٠٤.

[٢] Grayzel , History of the Jews.(New York :١٩٦٨)

بالمقابل لم ير المسلمون بأسا في أن يستميلوا اليهود إلى جانبهم .

استغل اليهود الوضع المتردي في أثناء الفتح وقدموا خدمات عسكرية ومدنية للمسلمين ، منها السيطرة على المدن وتسليمها إلى المسلمين كما حدث في مدينة مالقة (Malaga) [٣] ، وقاموا بالتجسس وإرشاد المسلمين الى عورات البلاد ، وتكسرات الأسوار وما إلى ذلك[٤] . ولعل موقفهم فضلا عن موقف جماعة الملك (ويتزا) أسهم في فتح العاصمة القوطية طليطلة (Toledo) على يد طارق بن زياد في نهاية صيف سنة (٩٣هـ /أوائل سنة ٧١٢م) .

اطمأن المسلمون الى اليهود وكافؤوهم ؛ فعندما استولى طارق بن زياد على طليطلة أبقى على من بقي من سكانها ، وترك لليهود حرية إقامة الشعائر الدينية ، وأباح للمسيحيين اتّباع شرائعهم وتقاليدهم ، وإشراكهم في حماية المدن التي سيطروا عليها بعد الفتح ، قال المؤرخ الإسلامي المقّري ((وصار ذلك سُنَّةً متّبعة في كل بلد يفتحونه ، أن يضموا يهودَهُ إلى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها))[٥] وذكر صاحب (أخبار مجموعة) أنهُ ((في شهر شوال سنة (٩٢هـ) قام مغيث رومي بجمع يهود قرطبة فضمهم إليها واختط قصبتها لنفسهِ ،

---

[٣] حسين مؤنس ، فجر الأندلس، ص١١٢.

[٤] إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانية ، ص٧٣.

[٥] المقري ، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج١، ص٦٢.

والمدينة لأصحابه))[٦] .

وبعد استقرار الأوضاع في اسبانية (الأنـدلس) ، تغيرت الصورة بشكل سريع جدا ، فكانت أحوال الأديان السماوية الأخرى أفضل مما كانت عليه أيام القوط؛ فارتفعت منزلتهم وسُمُّوا (أهل الكتاب) وهي تـسمية رقيقـة ، وأخذ المسلمون ينظرون إليهم نظرة تسامح في كل مجـالات الحيـاة[٧] ، وبذلك تحرر اليهود من عبوديتهم . وشمل هذا التسامح المسيحيين فـسمح لهم بأداء شعائرهم وعقد مجامعهم الدينية كمجمع أشبيلية (١٦٦هـ/٧٨٢م) ومجمع قرطبة (٢٣٨هـ /٨٥٢م)[٨] وقد شهد على هذا التسامح وتحدث عنه بثناء وإعجاب عدد من المستشرقين منهم : لين بـول[٩] وأرنولـد[١٠] ولوبون[١١] ورينو[١٢] ودوزي ، والأسباني ماينجوس[١٣].

هذا التسامح جعل اسبانية (الاندلس) خلال العصور الوسطى البلدَ الأوربي الوحيد في القارة الذي يتمتع فيه اليهود بحقوقهم كاملة ، وتحـت رعايـة الدولـة لهـم ، وقـد تـأثرت أوربـا بعـد ذلـك

---

[٦] مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٤.

[٧] ابن الخطيب : لسان الدين ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ص٨٤.

[٨] لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٠٧ .

[٩] قصة العرب في اسبانية ، ص٧٢.

[١٠] الدعوة إلى الإسلام ، ص١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٧.

[١١] حضارة العرب، ص٢٧٦- ٢٧٧.

[١٢] تاريخ غزوات العرب ، ص ١٥٦، ٢٨٨.

[١٣] نقلا عن : الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في اسبانية ص٩٣.

به[١٤] ، وهذا التسامح دليل على اخلاق الإسلام لأنه تطبيق حي وواقعي لمبادئ الإسلام[١٥].

تأثر هذا التسامح في بعض الحالات بالسياسية المنافية للإسلام كسياسة الموحدين (٤٨٤-٥٢٠هـ/ ١٠٩٢-١١٣٤م) تجاه اليهود[١٦] ، كما أمر بنو الأحمر (٦٥٣-٨٩٧ هـ/ ١٢٣٨- ١٤٩٢م) اليهود بوضع شارة تميزهم عن المسلمين ، ومنعوهم من ركوب الخيل[١٧] ، كذلك غضب (المعتمد بن عباد) على فحش اليهودي المكلف بجباية الضرائب لملك قشتالة الفونسو العاشر مما دفعه إلى قتله[١٨] .

إزاء هذه الأحداث التي كان اغلبها لأغراض احترازية واحتياطات ضرورية للأمن ، تَحامل بعض المستشرقين ومن سار على نهجهم من الباحثين العرب[١٩] فصوروا ذلك على أنه اضطهاد وتنكيل باليهود ، على الرغم من أنها أحداث طارئة لا تتناسب من حيث الحجم والأهمية ، مع ما قدّمه الإسلام من خدمات جليلة لأهل الكتاب

---

[١٤] عاشور، سعيد عبد الفتاح ، المدينة الإسلامية ، ص٢٠٨.

[١٥] الحجي، عبد الرحمن ، أندلسيات (المجموعة الثانية) ، ص٢٣.

[١٦] ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، ص٢١٨.

[١٧] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٨٤.

[١٨] المقري ، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٣.

[١٩] بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج٢ ، ص١٨٨؛ حتي: فيليب ، تاريخ العرب المطول ، ج٣ ، ص٣٦.

ولاسيّما اليهود ، فلو سار المسلمون على نهج القوط لأبيدَ اليهود في اسبانية (الأندلس) .

فالتسامح إذَنْ مزية عامة طبعت المجتمع الأسباني إبان الحكم الإسلامي ، وأصبحت له سماتُه التي تميزُه عن غيره والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخه والمرحلة التي يمر بها ، وقد شمل ذلك مجالات الحياة كلها .

ففي المجال الديني ، سُمِحَ لليهود ببناء البيَع الخاصة بهم[٢٠] ، وكانت الدولة تتولى حماية أموالهم[٢١] وأجاز لهم الفقهاء المسلمون ممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم بحرية داخل المعابد والكنس[٢٢] ، في الوقت نفسه حرّموا على أهل الكتاب كل ما فيه غضاضة على المسلمين وانتقاص للإسلام [٢٣] ، بل نجد بعض الفقهاء المسلمين يلجأ إليهم في الظروف الحرجة ، ومثال ذلك تستر الفقيه طالوت بن عبد الجبار عند رجل يهوديّ عاما كاملا بعد اشتراكه في حركة ربض قرطبة (أي ضاحيتها) سنة (٢٠٢ هـ/ ٨١٨م) أيام الأمير الحَكَم الأول (١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢٢م)[٢٤] ، كذلك كان الأمراء ينفون الناس غير المرغوب فيهم إلى مدن اليهود؛ فقد أمر أبو يوسف يعقوب بن عبد

---

[٢٠] محمد بن عبود ، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية، ص ١٩٧.

[٢١] الكبيسي، خليل : دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص٢٢٠.

[٢٢] الحكيم ، أبو الحسن علي ، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ص١١٤.

[٢٣] ابن عياض ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج٢ ، ص٥١٥.

[٢٤] ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، ص١٥٥.

المؤمن الموحدي (٥٨٠- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ -١١٩٩م) بنفسي ابن رشد إلى مدينة اليُسانه (Lucen) وهي مدينة معظم سكانها يهود[٢٥].

وفضلا عن التسامح الديني ، أعطيت لليهود حرية الإقامة في أي مكان يختارونه من مدن اسبانية وقراها ، فاستقروا تحديدا في المراكز الحضرية المتقدمة مثل: طليطلة وغرناطة (اشتهرت بغرناطة اليهود) واليُسانه (أكثر سكانها يهود) وبيانه وطروكونه وقادس واشبيلية وقرطبة . ومن الطبيعي أن يتجمع اليهود في جزء معين من القصبة ، وهذا الجزء أصبح مع مرور الزمن حيًا لليهود أو (حارةً اليهود) ، والحارة هنا تعني قسما من المدينة ، التي سميت بعد نهاية الحكم الإسلامي لاسبانية باسم (اليودرية) أو (الخودرية) أو (الجودرية Juderia)[٢٦] .

وليس لدينا دليل على أن جودريات اليهود كانت تحاط بأسوار في البلاد الإسلامية ، بخلاف الجودريات في البلدان المسيحية ، فقد كانت لها أسوار عالية ، وهذا الامر سارع في اندماج اليهود مع المسلمين وغيرهم .

وكانت بعض معالم المدن تسمى بأسمائهم مثل (باب اليهود) ، الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من غرناطة[٢٧] . ولليهود مقابرهم

---

[٢٥] مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٢- ١٣؛ الحميري ، عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطارص٢٣؛ ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج٢ ، ص١٢؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج١ ، ص١١؛ ابن حيان ، أبو مروان ، المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، ص١٤٩.

[٢٦] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص١٢٦.

[٢٧] المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص ١٤٨، ج٢ ، ص١٦١.

الخاصة خارج المدينة ، فكانت في شمالي غرناطة مقبرة تسمى (مقبرة اليهود)[٢٨] ، ولهم مجازر خاصة بهم[٢٩].

أما عن حياتهم الاجتماعية ، فقد كانت منظمة تنظيما دقيقا ؛ فقد كان يرأس اليهود جماعة منهم يسمى الواحد (البرور) [٣٠] ، ولهم مجلس يدعى (البرورون) وجمعه (البروريم) ، وقد يسمى البرور (مقدما) وجمعه (مقديم) أو (نعمان) وجمعه (نعمانيم) . ولكل جماعة من هؤلاء عدد من المستشارين يعرفون عادة بـ (الواعظين) وجمعه (اليوعاظيم)[٣١].

كان (البرورون) و(المقدمون) و(النعمانيون) ينتخبون أول الأمر ، ثم أصبح السابقون منهم يعينون من يخلفهم ، وكانت مدة ولايتهم عاما ، وقد اختلف عددهم من مدينة إلى أخرى بحسب حجم الجماعة اليهودية وأهميتها ، وكانوا مسؤولين أمام الدولة الإسلامية على كل ما يتصل بالجماعة من ضرائب والتزامات أخرى[٣٢] ويذكر (ابن حيان) : أنه ((في شهر جمادى الأولى من سنة (٣٦٣هـ /١٩٧م) سجل الحجاج بن المتوكل على قسامة قومه يهود اليُسانه))[٣٣] ، وهذا يعني أن الذي

---

[٢٨] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثرهم في الاندلس ، ص٣٠٠.

[٢٩] ابن عبد الرؤوف ، رسالة في أدب الحسبة والمحتسب ، من كتاب (ثلاث رسائل أندلسية) ، ص٩٤.

[٣٠] لفظة (جماعة) هي لفظة عربية تطلقها النصوص الاسبانية على مجاميع اليهود الساكنين بالمناطق الداخلة في الإسلام(حسين مؤنس ، فجر الإسلام ، ص٢٥٢) .

[٣١] المصدر نفسه .

[٣٢] المصدر نفسه ، ص ٢٢٥- ٥٢٦.

[٣٣] المقتبس ، ص ١٤٩.

يتولى أمر اليهود كان يسجل عند الدولة . وقد عومل المسيحيون بالطريقة نفسها؛ فقد سمح المسلمون للمسيحيين في كل ناحية باختيار رئيس لهم يدعى (القومس) أي (زعيم المسيحيين) ، وهو مسؤول عن كل ما يتصل بشؤون رعاياه ، وكان أول (قومس) هو (رطباس)[٣٤].

وكانت هناك مناصب أخرى يتولاها رجل من أهل الكتاب لخدمة بني جنسه بموافقة المسلمين وإقرارهم مثل : قاضي العجم[٣٥]، وحارس المدينة ، ومستخرج خراج أهل الكتاب الذي كان يعمل إلى جنب عامل الخراج المسلم ، والأمين الذي كان على رأس كل نقابة من نقابات العمال المختلفة ، والعريف الذي يتميز بمهارته في حقل من حقول الصناعة . ولا يزال هذا المصطلح الأخير (el alarife) يطلق على رئيس البنائين في اسبانية إلى اليوم[٣٦].

ولليهود قوانينهم وقضاؤهم ، وكانت الإدارة الإسلامية لا تتدخل في شؤونهم ، بل كان للجماعة اليهودية الحق في تطبيق ما تصدره محاكمها من عقوبات ، وفي الحالات التي يقع فيها الخلاف بين المسلمين واليهود يرفع الأمر إلى قاضي المسلمين[٣٧]. وليس هذا فقط بل اشتركوا في المناصب المهمة في الدولة الإسلامية ، ومنها المناصب السياسية

---

[٣٤] طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات أندلسية (المجموعة الأولى) ، ص٩٧ .

[٣٥] أبو دياك ، صالح محمد ، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٢٢ .

[٣٦] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٤٦٢؛ طه ، عبد الواحد ، دراسات اندلسية (المجموعة الأولى) ص٩٨.

[٣٧] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٢٦.

والعسكرية والمالية والفنية . وقد ارتقى بعضهم درجة الوزارة مثل إسماعيل بن نغرله في ظل الأمير حبوس في غرناطة[٣٨] ، كما عملوا أطباء في بلاط الأمراء مثل (حسداي بن شبروط) الطبيب الخاص بعبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ /٩١٢-٩٦٠م)[٣٩] . ومنهم كان موسيقارا عند الأمراء مثل أبي نصر المنصور القرطبي ، الذي نقل خبر براعة الموسيقار الإسلامي المشهور (زرياب) إلى الأمير الحكم الأول (الربضي) (١٨٠- ٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م)[٤٠] ، ومنهم مَنْ عمل كاتبا للولاة ؛ فيذكر إن والي غرناطة المرابطي (أبا عمر يناله اللمتوني) كان له كاتب يهودي[٤١] ، ومنهم مَنْ كُلّفَ بمهمات إدارية مثل اليهودي يوسف بن النغرلة الذي كلف بتسيير شؤون مدينة (وادي آش) . وفي عهده تضاعف دخل هذه المدينة فعادل دخل خمس سنوات اذ وصل إلى مائة ألف دينار خلال حكم عبد الله بن بلقين[٤٢] . وفي المملكة الزيرية بغرناطة في عصر ملوك الطوائف (٤٠٣ - ٤١٠هـ / ١٠١٢-١٠٢٠م) كان لمأمور الضرائب والصرافين اليهود أثر كبير ، وأهمهم أسرة بنو

---

[٣٨] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٣ ، ص٢٥٨ ، ٣٦.

[٣٩] جورج كرباج ، عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي ، مجلة (آفاق عربية) ع١١ (ص٣٨- ٤٥) ، ص٤٠ .

[٤٠] Maeso, D.G, Los Arabes, Maestros de los Judios en ia Espana Medieval, Revista dei Istituto de Estudios Islamicos en Madrid vols, P.17.

[٤١] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٤ ، ص٧٧.

[٤٢] المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص٣٨- ٣٩.

نغرلـــه[٤٣] كمـــا اشـــترك اليهـــود فـــي الجـــيش إلـــى جنب المسلمين ضد العدو المشترك[٤٤].

وقد امتهن اليهود المهن الحرة مثل الزراعة ، فتحسنت أحـوالهم ، وكثرت أموالهم بعد إلغاء المسلمين القانون القوطي الذي يجعل المزارعين اليهود أشبه بالرقيق ، وبذلك تمتع الزراع اليهود بالحريـة والاسـتقلال ، وليس بمستبعد أن يُعفوا من الخراج ، في حال تعرض مزارعهم لكوارث طبيعية او آفات زراعية .

وبما ان اليهود يحبون امتهان التجارة ؛ فقد قاموا بعمـل الوسـيط الفعّال بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، وذلك في القـرنين الثـامن والتاسع الميلاديين ، ولاسيما خلال عهدي شارلمان (٧٦٨ - ٧١٤م) وابنه لويس التقي (٨١٤-٨٤٠م) ، إذ قاموا بنقل مختلف البضائع الشرقية إلـى أوربا ، ونقلوا البضائع الأوربية إلى الشرق[٤٥] ، وكـانوا يـشتغلون فـي جنوب فرنسا في إخصاء الرقيق وإرسالهم إلى اسبانية[٤٦] ولهـم أسـواق خاصة في الداخل يمتهنون فيها الصيرفة ، لان الفقهاء رفضوا اشـتراكهم في الأسواق الإسلامية لاشـتغالهم بالربـا[٤٧] . والحقيقـة إن المـصادر

---

[٤٣] كولان ، ج.س ، الاندلس ، (بيروت: ١٩٨٢م) ، ص٩٧.

[٤٤] الصوفي ، تاريخ العرب ، ص٩٣.

[٤٥] Muhammed and Charlemagne,Trans, by, Pirenne, Henri Trans, by :Bernard Maill, P. 284-285.

[٤٦] تشركوا ، كليليا سارنللي ، مجاهد العامري ، ص٤ .

[٤٧] اعتمادا على ما جاء في المذهب المالكي (مالك بن أنس ، المدونة الكبرى ، ج ٣، ص٤٠٣.

الإسلامية المتوافرة بين أيدينا لم تسعفنا في إعطاء الصورة الكاملة للحياة التجارية عند اليهود ، التي من المفروض أن تأخذ حيزا ليس بالقليل في هذه الدراسة .

وكانت لهم حرية التعليم ؛ ففي قرطبة مدرسة دينية خاصة بهم في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ذات شهرة واسعة في جميع أنحاء الشرق والغرب[٤٨] ، كما كان لهم الحق في حضور الحلقات الدراسية التي يقيمها العلماء المسلمون ، وكان من بين تلاميذ (ابن رشد) يهود يستمعون إليه، فلما مات (ابن رشد) أسهم هؤلاء التلاميذ في نشر فلسفته وترجموا الكثير منها إلى العبرية[٤٩] وهذا يعني أن للمسلمين فضلا كبيرا على اليهود . وقد أنصف المسلمينَ أستاذ الدراسات العبرية بجامعة غرناطة (دافيد جنذا لومايسو)[٥٠] عندما نشر بحثا في صحيفة (معهد الدراسات الإسلامية) في مدريد بعنوان (العرب أساتذة اليهود في اسبانية خلال العصور الوسطى) ، وضح فيه مدى تأثير الحضارة الإسلامية على المعرفة اليهودية . والمعروف أن مسلمي الأندلس هم من أعرق القبائل العربية ولهم دراية ومعرفة بالدين واللغة ، فكان أثرهم بالغا في أهل الكتاب ، وظل اثرهم يزداد وضوحا بمرور الزمن[٥١] ، حتى وصل إلى

---

[٤٨] عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية (القاهرة : ١٩٦٣م) ، ص١٥.

[٤٩] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٥٢٥ .

[٥٠] Maeso, Les Arabes, P. ١٧٣.

[٥١] منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ٦٢- ٢٠٦هـ ، ص١٩.

دينهم ؛ فقد ذكر (بروفنسال) أن اليهود تأثروا بالطرق التي سلكها المسلمون في الفقه ، وتمثل ذلك في (أصحاب التلمود)[٥٢] .

اتخذ اليهود العربية لغة عامة وأتقنوها وكتبوا بها ، وفضلوها على اللغة اللاتينية[٥٣] . كما تأثرت بها لغتهم الدينية (العبرية) في بلاغتها وشعرها ؛ فقد كتب اليهود نحوهم وبلاغتهم على غرار النحو العربي وعلم البلاغة العربية ، ووضعوا أوزان شعرهم على بحور الشعر العربي ، وألفوا كتبا في الأدب تحاكي المؤلفات الإسلامية[٥٤] مثل : (الكامل في اللغة والأدب) لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بـ(المبرد) (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) ، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) . وتأثروا بمقامات بديع الزمان والحريري ، وقد أجاد فيها (سلومون) مترجم مقامات الحريري إلى العبرية[٥٥] . ونشرت القصص اليهودية المتأثرة بالقصص الإسلامية[٥٦]. واعترف (موسى بن عزرا) في نصٍّ له في كتابه المسمى (المحاضرة والمذاكرة) ، الذي مازال مخطوطا بمكتبة اوكسفورد ، بأن اليهود تعلموا على أيدي المسلمين وقلدوا قوالبهم الفنية ، وساروا على خطاهم في ميدان العلوم[٥٧].

---

[٥٢] بروفنسال ، ليفي ، حضارة العرب في الأندلس ، ص١٠٣.

[٥٣] الحجي عبد الرحمن ، أندلسيات، (المجموعة الثانية) ، ص٣٧.

[٥٤] Maeso, Les Arabes, P. ١٧١.

[٥٥] Ibid : p. ١٧٨.

[٥٦] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٣ ، ص ٢٥٨ .

[٥٧] Maeso, Les Arabes, P. ١٧٢.

وتوصل (مايسو) في مقال له إلى نتيجة هي: إن ((أعظم روافد الأدب العبري هو الرافد العربي ، بل إن العصر الذهبي الحق للأدب العبري كان على أيام المسلمين في الأندلس ، ومن هنا كانوا أساتذة اليهود))[٥٨] لأن ذلك نشأ تحت أعينهم.

وأنّ موسى بن ميمون (المولود في قرطبة سنة ١١٣٥م)[٥٩] ، الذي لايكف اليهود عن الفخر به[٦٠] ، ألفّ كتابا باللغة العربية بعنوان (دليل التائهين) ، استطاع فيه أن يوفق بين الإيمان والعقل[٦١] ، وهو من تلاميذ (ابن رشد)[٦٢] ، وعمل على نشر فلسفة أستاذه في أوربا. وفي ختام المقال يقول (مايسو) : ((لولا الفكر الإسلامي ما كان هناك شيء يسمى الفكر اليهودي ، ولولا علماء المسلمين ما كان علماء اليهود))[٦٣].

وكان هؤلاء التلاميذ (اليهود) سفراء بين الحضارة الإسلامية من ناحية وغرب أوربا المتلهفة للاستفادة من هذه الحضارة من ناحية أخرى[٦٤] ، فكان لهم أثر ظاهر في الترجمة ، ولاسيما في آخر عهود العصور الوسطى ، وقد ساعد ملك قشتالة الفونسو العاشر

---

(٥٨) Ibid : p. ١٧٠.

(٥٩) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٣ ، ص ٢٥٩.

(٦٠) Maeso: Les Arabes, P. ١٧٢.

(٦١) بروفنسال ، حضارة العرب، ص١٠٣.

(٦٢) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص٢٥٨.

(٦٣) Les Arabes, P. ١٧٩ .

(٦٤) عاشور ، المدينة الإسلامية ، ص٥١.

(١٣٠١-١٣١٢م) في ترجمة الوقائع التاريخية وتدوينها[٦٥] ، ومن اليهود الذين اشتهروا بترجمة المعارف العربية ابراهيم بن عزرا وخراج بن سالم الذي ترجم كتاب (الحاوي) للرازي إلى اللاتينية سنة(١٢٧٩م)[٦٦] ، وقد طبعت هذه الترجمة مرات عدة[٦٧] ، كما ترجموا (رسالة حي بن يقظان) لأبي بكر بن طفيل إلى العبرية[٦٨] لذلك قال (مايسو) : ((إن لليهود أثرا في نقل الحضارة الإسلامية إلى غيرهم من الأمم))[٦٩].

ولم يقتصر تأثر اليهود بالجانب الفكري الإسلامي بل تأثروا بالجانب الاجتماعي أيضا ، فاتخذوا العادات الإسلامية ومارسوها ، وقد أجاز لهم ابن حزم (ت٤٥٦هـ) الدعاء في صلاة الاستسقاء عند المسلمين[٧٠]. وقلدوا المسلمين في ملابسهم عدا الأزياء التي تحمل الطابع الديني الإسلامي[٧١]، كما قلدوهم في مطاعمهم ومشاربهم وأسمائهم، ومارسوا الختان وهي عادة شرقية قديمة[٧٢] ، وتقبيل يد من هو أكبر سنا ، وطاعة الرؤساء وهي عادة شرقية أيضا[٧٣].

---

[٦٥] بروفنسال ، حضارة العرب ، ص١٠٤.

[٦٦] اوليري ، دي . لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ج٢، ص٢٧٣.

[٦٧] المصدر نفسه ، ص٥٢.

[٦٨] شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام ، ج٢، ص٢٧٣.

[٦٩] Les Arabes, P. ١٧٩. .

[٧٠] المحلى ، تحقيق : محمد منير الدمشقي، ج٥ ، ص٩٤.

[٧١] الدغلي ، محمد سعيد ، الحياة الاجتماعية في الأندلس ، ص٢٠.

[٧٢] رينو ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٣١- ص٢٩١.

[٧٣] طه ، عبد الرحمن ذنون ، دراسات اندلسية (المجموعة الأولى) ، ص٢٤٤.

وفي مثل هذا الجو المفعم بالتسامح عاشت فئات المجتمع الأخرى ، وامتزجت القابليات كلها حتى وصلت إلى مرحلة النضج والاستقرار السياسي ، الذي جعل من اسبانية خلال الحكم الإسلامي قوة سياسية يحسب لها حساب .أما عدد اليهود في اسبانية خلال الحكم الإسلامي فليست لدينا معلومات دقيقة وكافية والموجود وصف عام؛ فقد ذكر المقدسي[٧٤] (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) : أن الأندلس (اسبانية) إقليم كثير اليهود ، كما أشار سيدونيوس[٧٥] (Sidonius) إلى ازدحام اسبانية باليهود أواخر القرن الخامس ، وذكر الإدريسي (ت٥٦٠ هـ/١١٦٥م) أنه كان في الأندلس (اسبانية) مدينة لليهود تبعد مسافة ٤٠ ميلا جنوب قرطبة[٧٦]يقصد مدينة (لِيُسانه) . كل هذا يعني أن في اسبانية (الأندلس) عددا لا بأس به من اليهود ، ويعتقد احد الباحثين ان عددهم زاد على نصف مليون نسمة من دون أن يذكر مسنده أو مصدره[٧٧].

(٢)

بعد ذلك كله ارتأيت قبل أن أنهي هذه الدراسة أن أسأل السؤال الآتي : ما موقف اليهود بعد نهاية الحكم الإسلامي لاسبانية في سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) ؟

---

[٧٤] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٠٤

[٧٥] نقلا عن ارشيبالد ، أ. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص٢٢.

[٧٦] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص٢٠٥.

[٧٧] التل ، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، ص١١٧ .

والجواب: انقسم اليهود قسمين:

القسم الأول : تمثل بانسحاب بعض اليهود مع انسحاب المسلمين من اسبانية إلى شمال أفريقيا حفاظا على أرواحهم من قساوة الكنيسة المسيحية ، فضلا عن المعاملة الحسنة التي تلقوها من المسلمين في أثناء وجودهم .

القسم الثاني: تمثل باليهود الذين أسهموا في إنهاء الحكم الإسلامي في اسبانية، إذ عملوا على إثارة التمردات ضد سلطة غرناطة ، وتأجيج الحرب بين الإمارات الإسلامية والإمارات الشمالية المسيحية ، وإثارة الفتن بين الإمارات الإسلامية ومساعدة بعضهم على حساب الآخر، وتعاونوا بصورة واضحة مع ملوك الممالك الشمالية فقد رافق جيش الفونسو الحادي عشر ملك ليون (١٣١٢- ١٣٥٠م) نحو أربعين ألف يهودي[٧٨] وكان جزاء هؤلاء مطاردتهم بعد مدة وجيزة حالهم حال المسلمين في (محاكم التفتيش) المَسيحية!! ، وهذا ما سنراه لاحقا في دراسة أخرى تتناول (اليهود بعد نهاية الحكم الإسلامي) .

من هذا كله يمكن القول : إنه بعد استقرار الأوضاع وطول حكم المسلمين لاسبانية ، ارتفعت منزلة أهل الكتاب ومنهم اليهود ، وازدادت نظرة التسامح الديني، فمُنحوا الحرية في تأدية طقوسهم وشعائرهم الدينية داخل معابدهم ، ومُنحت لهم الحرية المدنية فكانت لهم أحياؤهم ، ومقابرهم ، وسمح لهم بتسنم المناصب والمراكز المهمة في الدولة وامتهان

---

[٧٨] طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات أندلسية ، المجموعة أولى ، ص٢٣٧.

التجارة والزراعة والحرف الاخرى. وهذا ادى إلى اختلاطهم بالمسلمين ، وتأثرهم بهم في كثير من الجوانب الاجتماعية والثقافية .

وقد أشاد عدد من المستشرقين بهذا التسامح وعدّوه العصر الذهبي لليهود ، إلا أن موقف بعضهم كان مصلحيا عندما تعرضت المدن الإسلامية الأندلسية للغزو الذي قامت به الإمارات المسيحية الشمالية ، فان مساعدتهم هذه الإمارات ساعد في إنهاء الحكم الإسلامي ، الا انهم كوفئوا عندما انتهى الحكم الإسلامي بسقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) باصدار مرسوم من قبل ملكة قشتالة (ايزابيلا) وملك الاراغون ، (فرديناند) ، يدعو إلى طردهم وإخراجهم من اسبانية بشكل نهائيّ ، ومصادرة أموالهم النقدية والذهبية وكل الأشياء الثمينة. وقد انسحب ذلك على اليهود المتحولين إلى المسيحية (المارانوس) فقد تعرضوا لأبشع أنواع الإهانة والاضطهاد !.